أصولٌ ضيعها بعض السّلفيّين فضاعوا

للشّيخ د. أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله تعالى

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ نبينا محمدا عبده ورسوله صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلّم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

إنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ وخير الهدي هدي محمّدٍ ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة وكلّ ضلالة في النار أمّا بعد:

ففي هذه الليلة المباركة التي أسألُ الله ﷻ أنْ تكونَ في موازينِ أعمالنا، وأن نكون ممن يستمعُ القول فيتّبِعُ أحسنه، وأسألُ الله ﷻ أنْ يرزقني وإيّاكم

السُنّة وإتباعها، وأنْ يجعلنا من أهلها قولًا وعملًا واعتقادًا، وأنْ يُجنّبنا البدعَ والفتن ما ظهر منها وما بطن.

أتشرّفُ اللّيلة بالحديث معكم وإليكم، بل وأتشرفُ بالدّخولِ لأوّلِ مرّةٍ إلى دولة الكويت -حرسها الله من كلّ سوءٍ، وجعلها ذخرًا للمسلمين- وأشكرُ الإخوة جزاهم الله خيرًا -إخواننا المشايخ- على ما تفضّلوا به من معاملةٍ حسنةٍ وضيافةٍ طيّبةٍ وتقديمي للكلام قبلهم، فهم أهلٌ للكلام -بإذن الله ﷻ- ولكنْ هذا طلبهم.

فأقول -بارك الله فيكم- ولا أريدُ أنْ أطيل كثيرًا عليكم مذكّرًا نفسي وإياكم:

من الأمور المهمّة للسّلفيّين ومن الأصول العظيمة التي يتوارثها العلماء بينهم: أصلٌ ضيّعه بعضُ السّلفيّين فضاعوا، ألا وهو: الالتفاف حول العلماء الكبار والرّجوع إليهم في فهومهم للنّصوصِ الشّرعيّة، وفي فهومهم للدّين، ليس فقط ترجع للعالم في النّص أو في المسألةِ المنصوصة، بل ترجعُ أيضًا للعالم وتُقدّم كلامه ورأيه على كلامك وعلى رأيك أو رأي من دونه في المسائل الاجتهاديّة، وليس هذا تعصّبًا، وليس هذا تقديسًا للأشخاص، بل هذا هو منهج السّلف الصّالح -رضوان الله عليهم- فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « **لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ** » وكان الصّحابة -رضوان الله

عليهم- يأخذون ويرجعون إلى كبارهم، فهذا أبو موسى الأشعري ﷺ لمّا رأَى أصحاب الحِلق ورآهم على أمرٍ في ظاهره خيرٌ، من كونهم يذكرون الله، ولكنّه أنكره ووَجْهُ إنكاره له أنّهم فعلوا أمرًا لم يكنْ عليه النّبيّ ﷺ ولا أصحابه الكرام، ماذا فعل أبو موسى الأشعري ﷺ؟ ذهب إلى عبد الله بن مسعود ﷺ وانتظر خروجه وعرض عليه المسألة قال: «ماذا قلت لهم؟». قال: «انتظار رأيك وكلامك»، فلمّا ذهب إليهم ابن مسعود ﷺ أنكر عليهم، فانظر أنّ أبا موسى الأشعري ﷺ وهو عالمٌ انتظر كلام من هو أعلم منه.

عمر بن الخطاب ﷺ وإذا قيل عمر فذاك الرّجل الذي يخافه الشيطان، ويفرقُ منه، وإذا قيل عمر فذلك الرجل الذي مُلئ بالإيمان ﷺ وعن جميع صحابة رسول الله ﷺ لما قُتل القرّاء في عهد أبي بكرٍ -ﷺ أجمعين- لما قُتل القرّاء ماذا فعل عمر؟ لم يذهبْ ويجمع القرآن من تلقاءِ نفسه، بل ذهب إلى أبي بكرٍ واستشاره، وأشار عليه بجمعه، ماذا قال له أبو بكر؟ قال له كلمةً عظيمةً «**كَيْفَ أَصْنَعُ أَمْرًا لَمْ يَصْنَعْهُ النَّبِيُّ** ﷺ» فما زال عمر يراجعه حتّى فتح الله على قلبِ أبي بكرٍ فجمعوا القرآن.

فانظروا إلى هؤلاء لم ينفردوا بأنفسهم عمن هو موجودٌ في عصرهم وهو أكبرُ منهم، فرجعوا إلى العلماء الكبار وقدّروهم واحترموهم ولم يتقدّموا عليهم، لذلك انظر إلى من شئت ممّن ضلّ عن المنهج السلفيّ، تجد أنّه لابدّ أنّه

اجتهد، وقدّم رأيه ، وقدّم الصّغار على الكبار، أبدًا لابدّ أن يقع في هذا المزلق العظيم.

فالالتفاف حول العلماء أمرٌ مهمٌّ، وإذا كان الجميع في هذه الليلة ينتظر كلمة الشّيخ ربيع -حفظه الله تعالى- فلا مانع أنْ نذكرَ شيئًا من مواقفه -حفظه الله تعالى- كما ذكرها المشايخ -جزاهم الله خيرًا-

الشّيخ ربيع -حفظه الله تعالى- عالمٌ متفرّدٌ في هذا الباب، في المجال الذي فتح الله ﷻ عليه في مسألة: الجرح والتّعديل، ومسألة: نقد الجماعات، ومسألة الرّدّ على أهلِ البدع والأهواء بمختلف أصنافهم وأشكالهم. الالتفاف حول هذا العَالِم وحول إخوانه العلماء الكبار، أمرٌ عظيمٌ يربّ طلّاب العلم على أشياء كثيرةٍ منها:

تواضعه: فمع أنّه درس على العلماء الكبار، ومع أنّه -حفظه الله تعالى- عنده من الطلّاب الكُثر الشيء العظيم العدد، وعنده من ثناءات العلماء ووصفهم له بالعلم، بل وبالرّسوخ في الدّين والتفرّد في هذا الباب الشّيء الكثير، وأيضًا عنده من تسديد المواقف، مواقف يسدّده الله ﷻ فيها فيصيب الحقّ، وعنده أيضًا غير هذا وهذا مِن الكتب الكثيرة التي ألّفها -حفظه الله تعالى-، ومع ذلك يتواضع ويراجع العلماء ويقول ننتظر كلام العلماء ولا يتقدم على العلماء يقول: الفوزان موجودٌ، بل كما تعلمون قوله الأخير أنّه -حفظه الله

تعالى- سألَ الله أن يقبضه قبل موت الفوزان واللحيدان، رجلٌ إمامٌ عالمٌ يقول مثل هذا الكلام.

أيضًا لم يغتر بنفسه ويتفرّد ويقول لي رأيي، وأذكر تمامًا -حفظه الله تعالى- مرّةً من المرّات جَمَعَ بعض المشايخ السلفيين وحضرت أنا فسمعت كلامه معهم يعرض عليهم الكلام، بعضهم أصغر منه، وبعضهم قريبٌ منه، والكبير الشيخ ربيع أعلمُ منه جزمًا، ومع ذلك يعرض عليهم الكلام والمسائل يريد أنْ يأخذ رأيهم وتأييدهم وهل هو مصيبٌ أم لا، وكان من العجيب في تلك الجلسة أنّ الجميع قالوا: يا شيخ قل ونحن وراءك قل يا شيخ نحن نعرف أنّك صاحب سنّةٍ، صاحب حقٍّ، صاحب دعوةٍ، ترانا وراءك يا شيخ، لا تنتظر رأينا، لا تعصّبًا لك، ولكنْ لأنّنا نسير على منهج السّلف ونعرف قدرك، فلم تحمله هذه الأمور على رفعةِ النّفسِ، وعلى العظمة، وعلى التّفرّد، وعلى أنْ يقول: هذا رأيي من أراده فله ومن لم يُرِده فلا نظر إليه، لا، هو لا يراعي هذه الأمور كلّها، وهذا من عظيمِ تواضعه -حفظه الله تعالى-

وأيضًا فطنته وذكائه: تأتي الأمور وتأتي الفتن فيسمعها الشّيخ مثلًا ويقف في وجهها ويردّها، ويبيّن المزلق في مثلِ هذه الأبواب، وأنّ هذا الباب خطيرٌ، مثل تنبيهه -حفظه الله تعالى- على مسألة الموازنات، وأنّ ذِكْر أخطاء أهل البدع من الظلم، هذه المسألة نبَّه الشّيخ ربيع -حفظه الله تعالى- [على] أنّها

قائمةٌ على مذهب المعتزلة أو الأشاعرة في تعريف الظّلم: في أنّ الظّلم: تنقّص الآخرين أو عدم إعطائهم حقّهم، ومذهب أهل السُنّة في الظّلم: هو وضع الشّيء في غير موضعه، فالمبتدع لو زكيته ظلمته، واضح. بينما مذهب المعتزلة أنْ تذكر الحسنات والسّيّئات، هذه المسألة خطيرةٌ، فنبّه الشّيخ -حفظه الله تعالى- أنّها قائمةٌ على مذهب أهل البدع، وهذا من فطنته، أنا كطالب علمٍ لو أردت أنْ أنفرد أقول: والله في سير أعلام النّبلاء يذكر الحسنات والسّيّئات، وفلان يذكر وفلان يذكر فأقول لا، لعلّ الشّيخ في هذه المسألة أخطأ وأتابع أهل الأهواء والبدع، لكن لو أنّي ألتفّ حول هذا العالم وأرجع إليه وأستفيد منه فإنّ هذا -بإذن الله- هو مذهب السّلف، ومذهب السّلف عصمةٌ لصاحبه، مذهبُ السّلف الذي يسلكه يعصمه الله ﷻ بإذنه تعالى. أما الانفراد «إنّما يأكلُ الذئبُ من الشاة القاصية».

أيضًا في الرّجوع للعلماء الكبار -غير ما ذُكر- من كونه مذهب السّلف وكونه عصمة و، و، إلى آخره: تربيةٌ للنّفس، وحفظٌ للنّفس من أمرٍ آخر أريد أن أتكلم عليه، وهذا الأمر الآخر كالأمر الأوّل في كون صاحبه الذي يقع فيه من السّلفيّين يخرجه عن السّلفيّة ويبعده عن الصّفّ السّلفيّ، ما هو هذا الأمر الآخر؟ أنْ يحذر السّلفيّ عاميًّا كان أو طالبَ علمٍ، من الانفراد والاعتداد بالنّفس، من الانفراد في المسائل العلميّة، من الانفراد عن إخوانه السّلفيّين

يمشي لوحده، لا يزاورهم، لا يتّصلُ بهم، لا يكونُ معهم في أمورهم ويعينهم، ولا يسمع ما عندهم من حقٍّ، هو سلفيٌّ لكن لمنهجه خطٌّ آخرٌ يسير عليه «**انحراف**» بلا شكٍّ إمّا إلى حداديّة، إمّا إلى إخوانيّة، إمّا إلى شهوانيّة ودنيا؛ فتنٌ، هذا الأصل الذي يضيّعه بعض الشّباب السّلفيّين يقعون في هذا المزلق، ما هو الأصل؟ الأصل: أنْ تكون مع الجماعة ولا تخرج عنهم، ولا تنفرد عنهم أبدًا، التفافك حول العلماء هذا أصلٌ، قد تلتفّ حول العلماء ولكن بعد أن تخرج من عندهم تنفرد بنفسك، لا، لابدّ أنْ تكون مع الجماعة

الجماعة العلماء

الجماعة إخوانك السلفيون

الجماعة الحق تلزمه

لذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمته العظيمة «**السُنّة عندنا الاتّباع**» لم يقل: السُنّة عندنا الاعتداد بالرأي، أو ما تراه أنت صوابًا، لا، السُنّة عندنا الاتّباع، أن تتّبع، فأنت تابعٌ لست متبوعًا ولا تطلب لنفسك يومًا من الأيّام أن تكون متبوعًا فإنّك تُخذل، لأنّك لم ترد بهذا وجه الله عَزَّوَجَلَّ، كلُّ السّلفيّين المفترض فيهم أن يكونوا دعاةً إلى الله، لا دعاةً إلى أنفسهم، أن تنظر في نصرة الحقّ لا في نصرة نفسك. بعض السّلفيّين لمآرب في نفسه، ولأمورٍ شخصيّةٍ يحمل بعض المسائل في

صورةٍ علميّةٍ ويطغى ويظلم إخوانه في صورة اتّباع الحقّ ونصرة الحقّ وهو كاذبٌ في هذا، فلا يوفّق في تلك المسألة، فتجده قد يرمي إخوانه بالظّلم، ويرمي إخوانه بالوقوع في أمورٍ مخالفةٍ لمنهج السّلف وهو الذي خالف السّلف، لا، هم قُصَارُ أمرهم إن سُلِّم له: أ خطأوا مع اجتهادهم فهم معذورون، أمّا أنت فلا، لست معذورًا لأنّك متعمّدٌ «**القاتل والمقتول في النار**» قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**» فالذي يحرص على ضلال إخوانه أو الطّعن فيهم لو أصاب الحقّ فهو مخذولٌ، لأنّه ما أراد الحقَّ من جهة كونه حقًّا إنّما أراد أنْ ينصر وينتصر لنفسه، فلا تغترّوا ببعض الشّعارات البرّاقة، فلانٌ خالف المنهج السّلفيّ في المسألة الفلانيّة، وأنا من باب نصرة الحقّ وبيان الحقّ أردّ على فلانٍ وأكتب، وأكتب، تأتي تنظر للمسألة ما هي بحاجةٍ للكلام كلّه، أنت حملت الكلام مالا يحتمله، ماذا تريد أنت من إخوانك السلفيين؟ من هؤلاء المشايخ السلفيين، وراء الأكمة ما ورآها، ما الذي جرّه لهذا؟ انفراده، اعتداده بنفسه، يصحّح أحاديثا ويضعّفها صححها الألبانيّ، سار عليها العلماء الكبار، منهجٌ في التّصحيح والتّضعيف واضحٌ يسير عليه العلماء الكبار، يأتي هذا ويضعّف الأحاديث تلو الأحاديث ممّا نعرف أنّ الألباني وغيره من إخوانه قد صحّحوا هذه الأحاديث، يسيرُ على منهج المليبارية في الطّعن في الأحاديث النّبويّة، منهجٌ ضالٌّ فاسدٌ، في صورة إنسانٍ سلفيٍّ متفرّدٍ عن إخوانه

معتدٍّ بنفسه، فضَلَّ وأضلَّ إنْ لم يتب ويرجع إلى الله ﷻ. لذلك يا إخواني لا تنظروا: فلان والله يكتب، والله كذا، انظروا إلى حاله، هل هو مع إخوانه السّلفيّين؟ هل يقول بقولهم؟ هل يناصرهم؟ هل له اجتماعات معهم؟ يعرفونه ويعرفهم؟ هذا -إنْ شاء الله- على خيرٍ، أمّا الانفراد هذا إيّاكم، والله أنا أنصح نفسي وإيّاكم: لا تغتّروا بأنّه عنده مقالاتٌ وكتَبَ وكَتَبَ وفلان أثنى عليه الشّيخ ربيع، قد يثني الشّيخ ربيع على مقالٍ لكن ما يدري عن هذا الرّجل قد يثني عليه حين كان على خيرٍ ثمّ انفرد وصار على شرٍّ، لا يعتدّ بهذا الأمر، لا يعتد.

الشّيخ ربيع -الله يحفظه- وهذا من الأمور التي أردت أن أُنبه عليها والآن جاءت مناسبتها- حريصٌ على طلّابه، حريصٌ على إخوانه، يسأل عنهم، إذا غاب فلان لماذا لم يأت؟ عسى خير، أين هو؟ لماذا لا نراه؟ نقول :والله يا شيخ حصل له كذا فيقول: أعانه الله، ثمّ إذا جاء: أهلًا، أين كنت؟ عساك طيّب؟ فقدناك، يأتيه من الجزائر يأتوه من أروبا، من كذا، بعض الإخوة ممّن يعرفهم الشّيخ ويعرف دعوتهم إذا جاءوا أو جاءه الطّلّاب سألهم كيف فلان؟ ماذا حصل مع فلان؟ أنت معهم ولا، ما أنت معهم؟ لا تنقطعوا عن إخوانكم، كونوا يدًا واحدةً، هكذا الشّيخ -حفظه الله تعالى- يربّي طلّابه على عدم الانفراد «**إنّما يأكلُ الذئب من الغنم القاصية**» هذا حديثٌ نبويٌّ، فالذي تجده منفردًا عن إخوانه فاحذر منه وهذا أصلٌ سلفيٌّ «**من أخفى عنا الفته ، لم تخفى علينا**

بدعته»، هذا صاحب هوى عنده خبيئةٌ سيّئةٌ، قال عمر بن عبد العزيز: «**إذا رأيت القوم يجتمعون في الخفاء فاعلم أنّهم على تأسيس ضلالة**» لا أريد أن أسّمي الأسماء لكن بالإشارة أظنّ الكلامَ واضحًا، عندكم هنا في الكويت لها شيء من الظواهر في هذه الأمور. فتنبهوا -بارك الله فيكم- لا تختلط عليكم الأوراق، أوراق أهل الحقّ بأوراق أهل الباطل.

الأمر الأخير الذي أريد أنْ أنبّه عليه وهو أيضًا من الأمور المهمّة وتابعةٌ لما سبق: الحذر من دعاة الفتنة، والحذر من دعاة الأهواء وإنْ تظاهروا بالتّسمية بالسُّنّة وإنْ تظاهروا بنصرة السُّنّة، لا تغترّ، تعرف الشّيخ ربيع أنّه أثنى على فلانٍ وفلانٍ وهم معرفون من خواصه وهم سلفيّون يأتيك أناسٌ آخرون وهم يتظاهرن بالسُّنّة و بالسّلفيّة، فتذهب إليهم وتترك المعروفين احذر فإنّ هؤلاء دعاة فتنةٍ لا دعاة جماعةٍ، لو أرادوا الجماعة لكانوا مع إخوانهم، انفرادهم واعتدادهم برأيهم سببٌ لضلالهم، إظهارهم للسُّنّة والسّلفيّة لا يعني أن تنخرط معهم، انتبه واحذر، فإنّ هؤلاء كما وصفهم رسول الله ﷺ: «**دعاة على أبواب جهنم**» الصّراط المستقيم: خطٌّ مستقيمٌ، رسم ﷺ خطوطًا عن يمينه وعن يساره أين رسمها؟ بدأها من هنا لا، بدأها من نفس الخطّ، فهم في البداية قريبون من الخطّ المستقيم، لكن لازالوا في بعدٍ عن الخطّ المستقيم، ولاحظ أنّ الخطّ المستقيم ما الذي يحصل للخطوط معه؟ انفرادٌ وبعدٌ، ولاحظ أنّه فيه قربًا من

الحقّ، ثمّ لا تزال في البعد ولذلك قال البربهاري كلمته التي تعتبر من الأصول السّلفيّة المعتبرة: «**واحذر صغار المحدثات فإنّها تصير كبارا**» احذر، انتبه، المسألة مسألة دينٍ إمّا أن تموت -أسألُ الله ﷻ أن يُميتنِي وإيّاكم على السُّنّة والعمل بها وأنْ نكون من أهلها وإمّا أنْ تموت إذا خالفت السُّنّة على بدعةٍ وضلالةٍ، فقبور أهل السُنّة روضةٌ من رياض الجنّة كما قال الإمام أحمد، ولو كان عندهم تقصيرٌ في الوقوع في بعض الذّنوب والمعاصي لكن ما دام أنّهم على السُنّة هي روضة من رياض الجنّة وقبور أهل البدعة هي حفرة من حفر النيران، وإن اظهروا أنّهم من أهل الطّاعة والاجتهاد لا تغتر.

أعطيكم مثالًا وأختم به هذا الكلام أمَا ذكر لنا الرسول ﷺ أناسًا، بل ذكر للصّحابة -ونحن تبع لهم- ذكر لهم وذكر لنا أناسًا نحقرُ صلاتنا إلى صلاتهم، وقراءتنا للقرآن إلى قراءتهم، وصيامنا إلى صيامهم، ولكنّهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهمُ من الرّميّة وقال ﷺ «**لئن وجدتُهم لأقتلنّهم قتل عاد**» وقال ﷺ: «**شرُّ قتلى تحت أديم السماء**» أو كما قال ﷺ، يقول هذا للصّحابة لا تغترّوا بصلاتهم لا تغترّوا بصيامهم، لا تغترّوا بقراءتهم القرآن ولو كان ظاهرهم أنّهم مجتهدون أكثر منكم، لكنّهم منحرفون عن الحقّ فلا تغترّ أناسٍ يدّعون أنّهم على السُّنّة وهم منحرفون عن السُّنّة.

أسألُ الله ﷻ أن يحفظني وإيّاكم من البدعِ ما ظهر منها وما بطن، وأنْ يرزقني وإيّاكم الإخلاص في القول والعمل، وأسأله ﷻ أن يوفّقنا لما يحبّه ويرضاه وأن يبعدنا عمّا يسخطه ويغضبه منّا وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.